

أنا وأنت على الطريق

مشكلة الحجاب

جاء في أحد التقارير سيدتي المستمعة العربية نقلا عن كاتبه الدكتور جان أحمرايان في شأن الحجاب وأمثاله والتي نشرته إحدى الصحف العربية ما يلي: الحجاب... عادت مشكلته إلى الشرق الأوسط وبريطانيا وألمانيا. ففي تونس والمغرب أقرت الحكومة منع ارتداء الحجاب في المراكز العامة والمدارس، وسمحت بارتدائه في الجامعات فقط. في تركيا الحجاب ممنوع في الدوائر الحكومية والمدارس أيضا حفظا على علمنة الدولة. في مصر الحكومة المصرية تخاف من الحجاب باعتباره رمزا سياسيا أكثر منه دينيا. في بريطانيا الحكومة تشجع على التخلي عنه لأن العينين والفم وسائل تعبيرية فليس على المرأة أن تسترها. وفي ألمانيا هناك مقاطعات منعت ارتداءه. وفرنسا مازالت متشددة على منعه بعد التصويت على التخلي عنه. وفي تقرير آخر صرح به مسؤولون حكوميون في أستراليا وقالوا: إن أستراليا دولة علمانية وأي مهاجر لا يستطيع أن يقبل بهذا فإن عليه أن يغادر البلاد. وإن كانت لديه اعتراضات قوية على قيم أستراليا فيجب ألا يأتي إليها."

ويتابع الكاتب ليقول: الحجاب عادة شرق أوسطية قديمة جدا. وفرضت على النساء فيما بعد. وعلى السؤال: أليس الحجاب مناعة للمرأة؟ يقول: نعم وألف نعم. ولكن إن كانت عيني سببا للشكوك فعلي أن أقلعها. الشكوك والخطيئة والتجارب موجودة في داخل الإنسان إن تبرجت المرأة أو سترت بدنها. طبعاً الحجاب وقاية لكن لا داعي للحجاب إذا كانت نوايا المرء غير سليمة. وفي هذه الحالة تخطى الحجاب إطار الفرض الديني ليصبح الآن مشكلة اجتماعية دينية وسياسية. وانتهى الصحفي إلى القول: التجربة ليست كامنة في وجه المرأة أو شعرها. التجربة كامنة في المرء. الخطيئة عمل شخصي تلعب الإرادة فيه دورا كبيرا. الخطيئة مني وفي قرارة نفسي كامنة.

أليس حرام على المرأة أن ننعثها بعورة وخطيئة وشكوك وناقصة ودمية تلبى أهواها. الخطيئة ليست في المرأة. المرأة مخلوقة مثل الرجل لها حقوقها وامتيازاتها فلا الحجاب يعطيها مناعة ولا زي الراهبة يصون عفتها وكرامتها. علموا الناس الحشمة ونقاوة القلب وطهارة النفس قبل أن نضع أمام المرأة المسكينة عوائق ومحرمات. ويعلق ليقول: على كل حال ينبغي الاهتمام أكثر بما هو في الرأس بدلا من الاهتمام بما هو فوق الرأس.

تري ما هو رأيك سيدتي المستمعة بهذا التقرير عن الحجاب؟ وما هو رد فعلك إذا كنت ترتدينه ليس فرضا بل باختيارك؟ لفتنتي دعوة هذا الصحفي القيِّمة - والتي لا تخلو من روح الدعابة بالطبع إذا نظرنا إلى الموضوع نظرة مجردة - إلى أن يوجه الواحد

منا اهتمامه ليس إلى ما يرتديه فوق رأسه ليحجّب به مظهره إلى الناس والملا، بل إلى ما يدور في رأسه من أفكار وأحاسيس ومشاعر ونّيّات هي الأهم من كل شيء آخر. وليس هذا فحسب، بل أن يهتم المجتمع الذكوري الذي يقوم بفرض هذه العادات التقليدية على المرأة بأمورٍ أهم وأعظم بكثير منها. ولكن وللأسف وحتى الآن تبقى المرأة همّ الرجل الأول حتى لكأنّي به يلهو بدميةٍ هي ملكه، أو لكأنّي به يحمل كأساً يخاف عليه من الكسر أو العطب.

سيدتي، إنّ الخطيئة كامنة في الإنسان بشقيه في الذكر والأنثى سواء وأن الإنسان بما فيه الذكر والأنثى هو الذي جُبل بالخطيئة وحُبل به في الخطيئة بسبب عصيان أبونا الأولين آدم وحواء. وهكذا انتقلت الخطيئة إلى البشر أجمعين سواء. فالخطيئة عمل شخصي تلعب الإرادة فيه دوراً كبيراً. والخطيئة هي فيك وفيّ وفي أنا أيضاً. فالمرأة مخلوقة مثل الرجل لها حقوقها وامتيازاتها. أفما أنّ الأوان بعدُ يا ترى أن يدعها الرجل تفكّر بنفسها ولنفسها في شؤونها الخاصة بها كما يفكر هو في شؤونه الخاصة به. ترى ماذا قال الرب يسوع المسيح المخلص والفادي وهو العارف بطبيعة البشر أجمعين قال مرة: "سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً. فإن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون؟" (متى ٦: ٢٢ و٢٣) بمعنى أن العين هي مصباح الجسد. لأننا من خلال العين نرى الأشياء. والمصباح من المفروض أن يُشعّ نوراً في الأرجاء. فإن كان المصباح يعمل صحيحاً فإنه يضيء الجسد كله. والعكس صحيح، فإن كان المصباح مظلماً أي معتماً ليس فيه نور ولا يضيء، فالجسد كله يكون مظلماً. فإذا كانت العين التي من المفروض أن تكون سراجاً مضيئاً ليست نيرة بل مظلمة فما أشدّ الظلام الذي يمتلك هذا الجسد كله!!! ولكي يكون لدى الشخص منا رجلاً كان أم امرأة بصيرة نيرة روحية يستطيع من خلالها أن يسير حياته ومسلكه، عليه أن يعترف أولاً بالظلمة التي يعيش فيها من جرّاء الخطيئة التي وُلد فيها وأعمال الخطيئة التي تظهر في مسلكه. وعندما يقرّ الواحد منا بخطاياها و يندم عليها ويتركها يُرحم. قال الرب يسوع: أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة. (يوحنا ٨: ١٢)

وبكلمة أخرى فإنّ المطلوب هو تغيير القلب من الداخل. عندها يفيض القلب بما فيه وتصبح العين نيرة تتحكّم في سلوك المرء وتصرفاته. وإذا سكن روح الله في قلب الإنسان رجلاً كان أم امرأة، فإنه يقوده في اختيار لباس الحشمة والورع والعيش بالتعقل والتقوى والوقار بعيداً عن كلّ فرائض وشرائع وقوانين وطقوس لا تغير الإنسان ولا قيداً أنملة. وعندها يعيش الإنسان بشقيه الرجل والمرأة سواء بشفافية ووضوح بحسب ما يعلمه الكتاب المقدس فيتكلم بما يعني ويعني ما يتكلم، وينظر إلى ما يريده ويحجب نظره عما لا يريده. وهكذا ينسجم المظهر مع الجوهر والسر مع العلن. فأين يبقى اهتمامنا إذن بما فوق الرأس أم بما في الرأس.